

تفسير ابن كثير

لما قامت الحجة على فرعون بالبيان والعقل عدل إلى أن يقهر موسى بيده وسلطانه وطن أنه ليس وراء هذا المقام مقال فقال { لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين } فعند ذلك قال موسى { أو لو جئتكم بشيء مبين } أي ببرهان قاطع واضح { قال فأت به إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين } أي ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة ذات قوائم وفم كبير وشكل هائل مزعج { ونزع يده } أي من جيبه { فإذا هي بيضاء للناظرين } أي تتلألأ كقطعة من القمر فبادر فرعون بشقاوته إلى التكذيب والعناد فقال للملا حوله { إن هذا لساحر عليم } أي فاضل بارع في السحر فروج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة ثم هيجهم وحرضهم على مخالفته والكفر به فقال { يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره } الآية أي أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم فيأخذ البلاد منكم فأشيروا علي فيه ماذا أصنع به ؟ { قالوا أرجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكل سحار عليم } أي أخره وأخاه حتى تجمع له من مدائن مملكته وأقاليم دولته كل سحار عليم يقابلونه ويأتون بنظير ما جاء به فتغلبه أنت وتكون لك النصره والتأييد فأجابهم إلى ذلك وكان هذا من تسخير الله تعالى لهم في ذلك ليجتمع الناس في صعيد واحد وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة